

رسالة في

الحج على

اجتماع كلمة المسلمين

وزم الأئمة والأعلام

تأليف

علاء الدين بن محمد

محمد بن عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٧٦ - ١٣٠٧

مكتبة

الادب والاثارة

للشعر والتاريخ

كتابي

للشعر والتاريخ



رِسَالَةٌ فِي
الْبَحْثِ عَلَى
اجْتِمَاعِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ
وَرَدِّ الْفَرْقِ وَالْإِفْصَافِ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

1433 هـ - 2012 م

رقم الإيداع: 2011/21553

دار الأمانة
للنشر والتوزيع

مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: 0020183620864

dar-elatharia@yahoo.fr - elannabi1970@hotmail.com

دار السبيل للمؤمنين
للنشر والتوزيع

عين شمس - القاهرة - جوال: 0020107610099

Dar_sabilemomnen@yahoo.com

Dar_sabilemomnen@hotmail.com

موقعنا على الإنترنت:

www.darsabilemomnen.com

رِسَالَةٌ فِي
الْجَحْتِ عَلَى
اجْتِمَاعِ كَلِمَاتِهِ سَلْبِيَةٍ
وَزَمِّ الْفَرْقِ وَالْإِضْرَافِ

تَأَلَّفَ
عَلَّامَةُ الْفَصِيحِ شَيْخُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ السَّخَرِيُّ الْهَمْدِيُّ
١٣٧٦ - ١٣٠٧

تَحْقِيقُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ مُسْلِمٍ

إِسْتَدْبَارُ الْمَوْضِعِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

الْبَلَدُ الْأَنْدَلُسِيُّ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطابع ١٣٨٧/١٤٠٨ هـ

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . وسلم الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وسلم . أما بعد .

فلا يزال حوائج مبيحنا العلامة عبد الرحمن بن قاسم السعدي رحمه الله تتجدد حتى يمتد فاته . وذلك لما يخرج بين الفينة والأخرى من رسائله وكتبه المعنوية على القوائد الثمينة والتمسانح المستفيدة . وكان رحمه الله نعم المقام الدائم والرسول الصالح .

وها هو في هذه الرسالة . الممنعة الصغيرة في محتواها . الزرية في معناها . يوجه النسيئة لعلماء المسلمين ويوهمهم أن تتفق عقولهم . وتجمع قلوبهم . فتعجبون بحسن الله جميعته . ومغناهم من المدة والاختلاف الزوي إلى التشاخص والقطيعة والانعقاد .

وقد بين رحمه الله مستغاة العلماء المسلمين في الأمة الإسلامية ومعالجة المسلمين لهم ومناجاة يجب على الناس تجاههم من المحبة والتقدير ومعرفة حقوقهم وتبزيهم المذلة والآفة لهم . ولم ينس رحمه الله توجيه النضج لطلاب العلم وتدريبهم من الأحلاق والبركة والسمات الحميدة وغير ذلك من النوائب المثورة في ثياب هذه الرسالة .

وقد احتسب فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد بن مسلم إلى منسك هذه الرسالة مقابلة وتحققا مع ضم حوائج فديته فخصها كلاما للمواقف . استخاضة من كتبه له أخرى يتفق مع موضوعها . فجزاء الله خيرا على عنايته بهذا الرسالة .

والله أوضي أجواني وأبنائي الطالبين وعموم المسلمين بفراسة فقه الرسالة والاستغناء عنها فخصته من تلك الصنائع والتجديلات . داعيا الله تعالى أن يقيم بها من كتبه أو قراها أو سمعها أو استعان بها . وكتبه السعدي إلى الله عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجالس القضاء الأعلى .



باسم الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة
عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم .
وصلّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وبارك .
أما بعد :

فلا تزال فوائد شيخنا، العلامة عبد الرحمن بن ناصر
السعدي رَحِمَهُ اللهُ تتجدّد، حتى بعد وفاته، وذلك مما يخرج
بين الفينة والأخرى من رسائله وكتبه؛ المحتوية على الفوائد
الثمينّة، والنصائح السديّدة، وكان رَحِمَهُ اللهُ نِعَمَ المعلّم
الناصح، والمربّي الصالح .

وهاهو في هذه الرسالة، الممتعة الصغيرة في محتواها،

الغزيرة في معناها، يوجّه النصيحة لعلماء المسلمين وعوامّهم أن تتفق كلمتهم، وتجتمع قلوبهم، معتصمين بحبل الله جميعاً، ومحذراً لهم من الفرقة والاختلاف المؤدّي إلى التشاؤن والقطيعة والبغضاء.

وقد بيّن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكانة العلماء العاملين في الأمة الإسلامية، وحاجة المسلمين لهم، وماذا يجب على الناس تجاههم من المحبة والتقدير، ومعرفة حقّهم؛ وتنزيلهم المنزلة اللائقة بهم، ولم ينسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توجيه النصّح لطلاب العلم، وتحذيرهم من الأخلاق الرديئة، والصفات الذميمة، وغير ذلك من الفوائد المنثورة في ثنايا هذه الرسالة.

وقد اعتنى فضيلة الشيخ، عبد الله بن زيد بن مسلم، آل مسلم بهذه الرسالة، مقابلة وتحقيقاً، مع ضمّ حواشٍ مفيدة، ضمّنّها كلاماً للمؤلف، استخلصه من كتبه له أخرى، تتعلّق بموضوعها، فجزاه الله خيراً على عنايته بهذه الرسالة.

وإني أوصي أخواني، وأبنائي الطلاب، وعموم

المسلمين بقراءة هذه الرسالة ، والاستفادة مما تضمنته من تلك النصائح والتوجيهات ، داعيًا الله تعالى أن ينفع بها مَنْ كَتَبَهَا ، أَوْ قَرَأَهَا ، أَوْ سَمِعَهَا ، أَوْ اسْتَفَادَ مِنْهَا .

وكتبه الفقير إلى الله

عبد الله بن عبد العزيز بن عجيل

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقًا

حامدًا الله مصليًا مسلمًا على عبده ورسوله

محمد، وآله وصحبه أجمعين

* * *

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله: صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد :

فهذه درة نفيسة، ورسالة فريدة^(١) سطررتها يرّاع الشيخ الفقيه، المفسّر، عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى -، موجّهاً النصيحة فيها لعموم الأمة، وحاتاً لها على

(١) أمدني بصورة منها، فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله الدوسري - جزاه الله خيرًا، وشكر سعيه، وغفر له ولوالديه.

اجتماع كلمتها، ومحذراً لها من التفرُّق والاختلاف المؤدي إلى التشاحن والبغضاء.

والأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى ائتلافها، واجتماع شملها، ورأب صدعها مبتعدة كل البعد عن الحزبيات والتراشق بالكلمات، واتهام النيات، ما دام أن الجميع تحت مظلة أهل السنة والجماعة يقفون أثر سلف الأمة أهل القرون المفضلة، يتبعون لا يبتدعون.

وأحسب أن الشيخ عبد الرحمن رحمته الله، وهو المتوفى عام ١٣٧٦هـ، قد وضع النقاط على الحروف في هذه الرسالة، فرحمه الله رحمةً واسعة، وأجزل له الأجر والمثوبة، فقامت بالاعتناء بها، ونشرها؛ ليُعمَّ نفعها بتوفيق من الله عز وجل ^(١).

والله أسأل الإخلاص في القول والعمل، والتوفيق والسداد.

(١) قلت: قد قرأت هذه الرسالة، على فضيلة شيخنا، العلامة عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، حفظه الله ورعاه، بعد مغرب يوم الجمعة، الموافق ١٤٢٨/٦/٢٨هـ.

وصلی اللہ علی محمد وعلی آلہ وصحبہ وسلم

وکتب

عبد اللہ بن زید بن مسلم آل مسلم

١ جمادی الأولى ١٤٢٨ھ

الریاض

بسم الله الرحمن الرحيم
 وبعد استغفر الله لي ولجميع المسلمين
 تكبره رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآل محمد أجمعين أما بعد فإن الله
 خلق خلقه من الدم وأوجدهم بعد أن لم يكونوا شيئا ثم كبر الربوبية ووجهه
 لا يشك له ولا يطعوه ولا يعصونه ويدركونه وهم جميع على إداة حقونه وحقوقها
 الأربعة والمستحبة التي شرعها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهي شعبة كثيرة
 وأقسام منها ما هو أصول ومنها ما هو أحكام ومنها ما هو قواعد كلية تندرج تحتها
 كثير من الأحكام الجزئية ومنها ما هو مطلق ومنها ما هو موطن اليأس
 وكلها ترجع إلى التحصيل الصالح وتكليفها وتعطيلها المقاسم وتقليلها إلى أعظم
 الأوامر والآلئية والشرائع السماوية والوصايا النبوية بالاستعصام بحجج الله جميعا
 واتفاق كلمة السلف واجتماعهم وإسلامهم والتمسك على هذه البطانة من مصلحهم في الآل
 والأحوال والتفاق على ذلك قولاً وفعلًا والفهم عند الفرق والاختلاف
 وتثبيت شمل السلف والرجوع عن جميع الطرق الموصلة إلى تحجب العقدة والإمكان
 وقد دل على هذا الأسلوب العظيم الكتاب بآياته واجتماع الأنبياء والمرسلين واتباعهم
 الذين هم الذين قال الله في آياته بالتمسك بحبل الذي هو دينه والاحتكام إليه
 فلهذا هم عن الفرق والاختلاف فمشتاع عبادته يتفق منهم أهم الأركان التي
 التي أعظم أهل الله حيث قنائه ولا يمتدح إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله
 جميعا ولا تفرقوا إياها ذكرها الله أمه عليكم إذ كنتم أمة واحدة فكنتم ثلاثين قلوبا كنتم
 تتعبدوا لها الآية وقال تعالى فاعلموا أن الله سميع عليم
 وعدم الغفلة مع الأعداء إنما تناقروا على أنفسكم أو نذركم بحكم وقال الله عز وجل

مما صار به بما يرون انه معادله لثقله تدرب سببه وصار له ملكة قوية على
 ذلك بحيث لا يملك بالمحارضة من صغيرة وكبيرة بل قد تراه يتعدى القدر على الملا
 حاز حادثة ثم يظهر له عكسها حتى لم يبق فيه يد غير محلة ولا مكنة بل قد
 الوصول الى الحق والنصيب للخلق وحسن حاله لتصل اليه بعد هذا الخلق الذي
 لا يلقاه الا اذا صار عظم منهن ان العلم اذا ذهب للتعليم على
 هذه الطريقة احسنه او غيرهما طرق احسنه صار سببا لاستمراره
 احوال فيما تعلم منهم وتربى بهم لانهم يربون على ما تربوا عليه فيحصل له
 اخيرا لا يعلم الا الله وهذا انه يعرف بذلك وانهم تارة يتعلمون ودرجاتهم
 في التوصل ومعرفة مراتب الناس وما هم الا من رخص صا من له الله به تعليم
 فانه يحتاج بل ويضطر الى ذلك لاجل علمهم لان علم الايتام لا يتعلمهم
 فانهم ورا عطاء وكل ما يفتقروا ومنها ان ذلك هو حب الفقه بقوله
 لان من وقف هذه احكامه ومن اللص من طعان من سد على فقه هذا الباب فقه
 فحصل على غاية احوال من العلم والعلم والشرار واكثر العظم يستوعب
 الخلق الذين يوفى ما يؤتى من التعليم وفكر النتيجة وعدم النصيحة
 التي في اسم التعليم بل اس كل علم والاعجاب بالنفس وعدم الفقه بمقتله
 ونحو ذلك فتنسب كل الله تقريبا فتنسب على الصواب ويصرف عن كل
 من يتم الكتاب واجه به على يد عقله الفقيه الى الله عليه الرحمن ابن ناصر
 ابن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه وتجميع السلبا اللهم صل على محمد

١٣٤٣
 ٦٠ جا

نَصُّ الرِّسَالَةِ الْمُحَقَّقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعين وعليه أتوكل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فإنَّ الله تعالى خلق خلقه من العدم، وأوجدهم بعد أن لم يكونوا شيئاً، مذكوراً ليعبدوه وحده لا شريك له، ويطيعوه ويتَّقوه، ومدارُ ذِكْرِهِ، ومرجعه على أداء حقوقه، وحقوق عباده اللازمة والمستحبة، التي شرَّعها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وهي شُعب كثيرة، وأقسام، فمنها : ما هو أصل، ومنها : ما هو أحكام، ومنها : ما هو قواعد كُليَّة، تندرج تحتها كثيرٌ من الأحكام الجزئية، ومنها : مقاصد ومطالب، ومنها : ما هو موصل إليها، وكلها ترجع إلى

تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها^(١).
 فمن أعظم الأوامر الإلهية، والشرائع السماوية،
 والوصايا النبوية: الاعتصام بحبل الله جميعاً، واتفاق كلمة
 المسلمين واجتماعهم وائتلافهم، والحث على هذا بكل
 طريق موصل إليه، من الأعمال والأقوال والتعاون على
 ذلك قولاً وفعلًا، والنهي عن التفرق والاختلاف، وتشيت
 شمل المسلمين، والزجر عن جميع الطرق الموصلة إليه
 بحسب القدرة والإمكان، وقد دلَّ على هذا الأصل العظيم
 الكتاب والسنة، وإجماع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إلى
 يوم الدين.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «إعلام الموقعين» (٣/٣): «... فإن الشريعة مبناهَا، وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كُلُّهَا، ورحمةٌ كُلُّهَا، ومصلحٌ كُلُّهَا، وحكمةٌ كُلُّهَا، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدلُ الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظلُّه في أرضه، وحكمته الدالة عليه، وعلى صِدْقِ رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها».

قال تعالى -أمرًا عباده بالتمسك بحبله الذي هو دينه والاجتماع عليه، ناهيًا لهم عن التفرق والاختلاف ممثنا على عباده بتوفيقه، لهم لذلك-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣] الآية .

وقال تعالى -ناهيا عن التنازع والاختلاف، مخبرًا أنه سبب للفشل وعدم النصر على الأعداء-: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَهَبَ رِيحَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

وقال -مذكرا عباده بنعمته التي لا يقدر عليها إلا العزيز الحكيم-: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] .
الآية .

وقال -ذامًا المنافقين بتباغضهم، وتفرق قلوبهم، ولو اجتمعت أجسامهم-: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤] .

وقال ﷺ -ممتنا على رسوله بليته للمخالطين الداعي

لتأليفهم واجتماعهم، وعدم تفرقهم - : ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. الآية .

ووصف الله المؤمنين بأنهم : ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].
ووصف رسوله بأنه : ﴿رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
وقال : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن أعظم البرِّ: السعي في جمع كلمة المسلمين،
واتفاقهم بكل طريق، كما أن السَّعي في تفريق كلمة
المسلمين من أعظم التعاون على الإثم والعدوان .

وقد قصَّ الله علينا في كتابه سيرة الرُّسل الذي بعثهم
لتبليغ رسالاته، وذكر نُصَحهم لأُمَمهم، وحِرْصهم على
اجتماعهم على الإسلام، ونَهْيهم (عن) ^(١) التفرُّق

(١) في الأصل: (وعن).

والاختلاف مما هو كثير في القرآن .

وكذلك النبي ﷺ قد أبدى في الأصل وأعاد، وأمر
 باجتماع العباد، ونهى عن التفرق فالمُفْضِي إلى الفساد،
 فقال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: « لا تَحَاسَدُوا،
 ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، وكونوا عباد الله
 إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ،
 ولا يَكْذِبُهُ »^(١).

وفي صحيح مسلم، عن تميم الداري، قال: سمعتُ
 رسول الله ﷺ، يقول: «الدين النصيحة». قلنا: لمن
 يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة
 المسلمين وعامتهم»^{(٢)(٣)}.

وَمِنْ أَعْظَمِ النِّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ: السَّعْيُ فِي تَأْلِيفِ

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٤٦٥٠) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢).

(٣) قال ابن الصلاح في النصيحة: «إنها كلمة جامعة، تتضمن قيام الناصح
 للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلًا». انظر: «جامع العلوم والحكم»
 (٢٢٢/١).

قلوبهم، واجتماعهم، ونهيتهم عن التفرق.

وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه للأَنْصار مِنْبَهَا لَهُمْ بِمَنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَبَهْدَايَتِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ وَغِنَاهُمْ بِسَبِيهِ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا؛ فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، مُتَفَرِّقِينَ، فَجَمَعَهُمُ اللَّهُ بِي، عَالَةً؛ فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي»^(١). كَلَمَّا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَرٌ.

وقال النبي ﷺ -مَحْذَرًا لِأَصْحَابِهِ عَنْ تَبْلِيغِهِ الْكَلَامَ الْمَغِيرَ لِلْقُلُوبِ-: «لَا يَبْلُغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»^(٢).

وقال -لَمَّا شَاوَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي قَتْلِ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ-: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»^(٣)؛ أَي: لَمَّا فِيهِ مِنَ التَّنْفِيرِ عَنِ الْإِسْلَامِ، لِمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ، فَتَرَكَهُمْ، وَهُمْ مُسْتَحَقُّونَ لِلْقَتْلِ تَأْلِيفًا.

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٥)، ومسلم (١٧٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣٥٧١)، وأبو داود (٤٢١٨)، والترمذي (٣٨٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٥٧)، ومسلم (١٧٦١)، (٤٦٨٢).

وكان ﷺ يُوصي مَنْ يبعثه للدَّعَاية لدينِ الإسلام، وتعليم الشرائع، فيقول: «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَتَطَاوَعُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا»^(١).

وقال: «وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»^(٢). فأخبر أنَّ الاختلاف الظاهر سببٌ لاختلاف الباطن.

وقال ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»^(٣).

وكلُّ هذه الأحاديث في الصحيح، وتواتر عنه ﷺ النهي عن الخروج على ولاية الأمور، والسَّمْع والطاعة لهم، وإن ظَلَمُوا وَعَصَوْا^(٤)، وما ذاك إلا لِمَا في الخروج عليهم من

(١) أخرجه مسلم (٣٢٦٢)، وأبو داود (٤١٩٥)، بدون زيادة: «وتطاعوا ولا تختلفوا»، وأخرجه أحمد (١٨٨٦٨) باللفظ أعلاه.

(٢) أخرجه مسلم (٦٥٤)، والترمذي (٢١١)، والنسائي (٧٩٨)، وأبو داود (٥٦٨)، وابن ماجه (٩٦٦)، وأحمد (٤١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٤٤)، ومسلم (٤٣٤٨) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (٦٦١١)، ومسلم (٣٤٢٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

الشَّرُّ العظيم .

وقد أمر الله ورسوله باجتماع المسلمين في كثير من العبادات، كالحجِّ والأعياد والجمعة، والجماعة لما في اجتماعهم من التوادد والتواصل، وعدم التقاطع، ونهى الله ورسوله عن الغيبة والنميمة والسَّعاية والتقاطع والخيانة والحسد والحقد، ونحوها لما فيها من الفساد، وتشتت العباد، وأمر بالإصلاح بين الناس بكلِّ طريق حتى إنه أباح الكذب المتوصل به للإصلاح لما فيه من الصلاح^(١).

= وأخرج البخاري (٦٦٠٩)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه : «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشيٌّ كان رأسه زبيبة» .

وأخرج البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٣٤٣٩)، عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَضْبِرْ، فَإِنَّهُ مِنْ خَرَجٍ مِنَ السُّلْطَانِ شَبْرًا مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً» .

وأخرجه مسلم (٣٤٣٣)، عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم» .

(١) أخرجه الترمذي (١٨٦١)، وأبو داود (٤٢٧٤)، وأحمد (٢٦٠١٠)، عن أم كلثوم بنت عقبة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ليس بالكاذب من أصلح بين الناس . فقال خيرًا أو نَمَى خيرًا» . واللفظ للترمذي، قال رحمته الله : حسن صحيح .

وبالجملة: فمن تأمل سيرة الرسول ﷺ في معاملاته للخلق مُسْلِمِهِمْ وكافرِهِمْ، قَرِيبِهِمْ وبعيدِهِمْ من لِينِ الجانب، والسَّماحةِ التامَّةِ، والخُلُقِ العظيمِ بالعفوِ عن أهلِ الجرائم^(١)، وتأليفِ الخلقِ للدخولِ في دينِ الإسلام، وإعطاءِ المؤلفةِ قلوبِهِمْ؛ لِيُسْلِمُوا وَيَقْوَى إيمانُهُمْ^(٢)، وتركُهُ كُلِّ ما فيه تنفيرٌ حتى إنه ﷺ يترك الأفضَلَ الأكملَ، ويفعل ما دونه مراعاةً لقلوبِ الخلقِ.

(١) مثال ذلك عفوهُ ﷺ عن أهل مكة عام الفتح، وقوله ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». انظر «البداية والنهاية» (٤/٦٩٦)، ط. دار المعرفة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «زاد المعاد» (٣/٤٩٧): «ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما ينفرهم عن الدخول في طاعته، وهذا أمرٌ كان يختصُّ بحالِ حياته ﷺ، وكذلك ترك قتلَ من طعنَ عليه في حكمه، بقوله في قصة الزبير وخصمه: «أن كان ابن عمك». اهـ

قلت: قصة الزبير وخصمه أخرجه البخاري (٤٥٨٥)، ومسلم (٢٣٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، في إعطاء النبي ﷺ المؤلفة قلوبِهِمْ.

وقد كان همّ في بُنيان الكعبة على قواعد إبراهيم، فقال لعائشة: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية؛ لنقضتُ الكعبة، وجعلتها على قواعد إبراهيم»^{(١)(٢)}.

فمن تأمل هذا عرف أنه ﷺ بُعث بالحنيفية السمحة^(٣)، فإذا علمت ذلك عرفت أن من أهمّ قواعد الدين، وأجلّ شرائع المرسلين: النصيحة لكافة الأمة، والسعي في جمع كلمة المسلمين، وحصول التآلف بينهم، وإزالة ما بينهم من التباغض والتشاحن والإحن.

(١) أخرجه البخاري (١٤٨٣)، ومسلم (٢٣٦٩).

(٢) قال ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٤٠٧/٢٢): «ويستحبُّ للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا - الكلام على الجهر بالبسملة أو يسرُّ بها -، كما ترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢١٢٦٠)، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ولكني بُعثت بالحنيفية السمحة».

وأخرجه أحمد (٢٣٧١٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني أرسلت بحنيفية سمحة».

وأنَّ هذا الأصلَ من أعظم معروفٍ يُؤمَرُ به ، وإضاعته^(١) من أعظم منكر يُنْهَى عنه ، وأن هذا من فروض الأعيان اللازمة لكلِّ الأمة : علمائها وولايتها وعوامُّها ؛ بل هي قاعدةٌ لا يتمُّ الإيمان إلا بها ، فتجب مراعاتُها علمًا وعملاً ، وإنما كان الأمر كذلك لما في ذلك من المصالح الدينية والدينية ، التي لا يمكن حصرُها ، وفي إضاعته من المضارِّ الدينية والدينية ما لا يمكن عدُّها فلذلك عقدتُ لهذا فصلين :

(١) في الأصل (وتركه) وجاء في الهامش «وإضاعته صح» .

فصل

في بعض مفاسد الاختلاف والتنازع والتباغض والتهاجر ومضارها

لا يستريب عاقل أن الله - تبارك وتعالى - لم ينهنا عن أمرٍ من الأمور إلا وفيه من المفاسد العامة والخاصة ما أوجبه حكمته ورحمته .

فأول مضارّ التشاحن والتباغض والاختلاف : إضاعة هذا الأصل العظيم ، ومعصيته الله ورسوله الموجب للعقاب ، وجرمان الثواب ، ونقصان الإيمان ، وحصول الحسرة والخُسران ، وإهمال ما دلت عليه الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .

ومنها : ما يترتب عليها من الاقتتال ، والاختصام ، والمُؤالاة ، والمُعادة ، التي تجعل المسلمين فرّقاً ، كلُّ فريق يريد نُصرة قوله بحقٍّ أو باطلٍ ؛ فيحصل بذلك من ارتكاب

الخطأ، والضلال والهوى من المفسد العامة والخاصة ما لا يعلمه إلا الله .

ويترتب على ذلك : ترك الحق الذي مع المنازع نصره للهوى ، وبغضاً للشخص الذي جاء به فيوجب له بغض ما معه من الحق ، ويحصل بسبب ذلك من الغيبة والنميمة والسعاية ما هو من أكبر المعاصي ، ويتحير مريد الهدى ، حسن القصد ، إذا كان قليل البصيرة ، فلا يهتدي لسبيله ، ولا يدري أي الطائفتين يتبعه في قبيله .

ويجد سيئ القصد المتبع لهواه مجالاً يجول فيه بأعراض العلماء والصالحين ، وولاية أمور المسلمين ، فينتسب بقوله لطائفة ويتلبس بلباسها على قلب منافق مكار مخادع ، فيتوصل بذلك إلى مقاصده الخبيثة ، ويبذر في قلوب من انتسب إليهم ما يقدر عليه من البذور التي تنتج الخزي والفضيحة ، وليس الأسف على هلاك من هذا شأنه ، وهذا غاية قصده ، فإنه بسبيل من هلك ، وإنما الأسف كل الأسف لمن يلقي إليه سمعه ويمكّنه من قلبه ولُبه ، ويصغي إليه ظاناً نصحَه ، وهو في الحقيقة أكبرُ عدوٍّ غاشٍّ ، هذا بعض ما

أنتجه الاختلاف .

ومنها : أنه يستدرج بالمفترقين إلى المُباعدة والمُهاجرة حتى لا يتعلّم بعضُهم من بعض ، ولا ينصح بعضُهم بعضًا ، فيضيع من المصالح التي هم بصددِها ، لو كانوا مجتمعين ما هو من أهمّ الواجبات ، وأكبر القُرَبات ، وأجلّ الطاعات إلى غير ذلك من طمع أعدائهم بهم ؛ لتفرّق كلمتهم ، وتشتّت أمرهم .

* * *

فصل

في فوائد اتفاق المسلمين وتحابهم والسعي في ذلك

وهذا هو المطلوب المقصود الذي جرى الكلام لأجله، وهو المقصد الذي فيه يرغب المصلحون، وإليه شمر المشمرون، وبه تنافس المتنافسون، ولمثله فليعمل العاملون؛ لما اشتمل عليه من المصالح العظيمة، والمهمات الجسيمة.

وبالجُملة: فجميعُ المَفسدِ التي ذكرتُ، والتي تُذكر في مفسد التهاجر والتباغض والتدابُر بهذا الأمر نزول، وتصل بصاحبها إلى كلِّ خير وتؤول، فبه تحصل الخيرات، وتنزل البركات، وتُستجاب الدعوات، وتبدل السيئات بالحسنات.

وباتفاق كلمة المسلمين يجتمع شمل الدين، ويحصل

لهم بذلك في الأرض العزُّ والتمكين، وبه يزيد الإسلام والإيمان؛ لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قولٌ وعملٌ، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

والسَّعي في هذا من أكبر الطاعات، فيزيد به الإيمان درجاتٍ، وبالتألف والاجتماع يحصل التعاون على جميع خصال البرِّ والتقوى والخير، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والقيام، والصدقة؟» قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»^(١). وفي رواية: «لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين»^(٢). فأَيُّ درجةٍ أعظم من هذه الدرجة، التي زاد بها على أمهات

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، وأبو داود (٤٢٧٣)، وأحمد (٢٦٢٣٦)، ومالك (١٤٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٣٤)، وأحمد (١٣٣٨، ١٣٥٥).

الفضائل، الصلاة والصيام، والصدقة.

وقال النبي ﷺ: «والله لا تدخلوا الجنة، حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، ألا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»^(١).

فرتَّب ﷺ دخولَ الجنة على وجود الإيمان، ورتَّب وجودَ الإيمان على حصول التحابُّ الذي هو سببُ الائتلاف، ونَبَّه على الدواء لهذا بإفشاء السلام؛ لأن لين الكلام الذي من أجله إفشاء السلام من أكبر الدواعي لذلك.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣)، والترمذي (٢٦٨٨)، وابن ماجه (٣٦٩٢)، وأحمد (٩٠٧٣).

فصل

إذا عُلِمَ هذا، فالواجب على المسلمين عمومًا، وعلى أهل العلم خصوصًا أن يَسْعَوْا في هذا الأمر، ويتحمّلوا من أجله المشاق، ويبذلوا جُهدَهُم وطاقَتَهُم في حصول التوادد، وعدم التقاطع والتهاجر ويرغبوا غيرهم فيه امتثالًا لأمر الله، وسعيًا في محبوه، وطلبًا للزلفى لديه، فيوظّنوا أنفسهم على ما ينالهم من الناس من الأذى القولية والفعلية، مع أنها ستقلب -إن شاء الله- راحة ومواصلة دينية.

ويقابلون المسيء إليهم بالعفو عنه والصفح، وسلامة النفس، ولا يعاملوه بما عاملهم به؛ بل إذا عاملهم بالبُغْض عاملوه بالمَحَبَّة، وإن عاملهم بالأذى عاملوه بالإحسان، وإن عاملهم بالهَجْر، وتَرَكَ السلام، عاملوه ببَذل السلام والبَشاشة، ولين الكلام، والدعاء له بظُهر الغيب، ولا يطيعوا أنفسهم الأمّارة بالسوء بمعاملته من جنس ما عاملهم به، فليست هذه حالة الأنبياء وأتباعهم؛ بل حالهم

العفو والصَّفْح عن أهل الجرائم كما ذكر النبي ﷺ عن حال النبي الذي ضربه قومه حين دعاهم إلى الله حتى أذمَّوه، فجعل يمسحُ الدَّم عن وجهه، ويقول: «اللَّهُم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

هذا -واللَّهِ- الفخر الكامل الذي يبني لصاحبه في الدنيا الثناء الجميل، وفي الآخرة الثواب الجزيل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢].

ويحث على مقابلة المسيء بالعفو، في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

فإذا وفق المسلمون لهذه الحال جمع الله شملهم، وألف بين قلوبهم، وهداهم سُبُلَ السلام، وأخرجهم من ظلمات

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧).

الجهل والظلم والضلال إلى نور العلم والعدل والإيمان .
 ويجب عليهم إذا رأوا صاحبَ هوى يريد أن يشقَّ عصا
 المسلمين ، ويفرق بينهم ؛ لنيل غرضٍ من أغراضه الفاسدة ،
 أن يَقمَعوه وينصحوه ولا يلتفتوا لقوله ، فإنَّ مَنْ هذا حاله أكبر
 الأعداء .

وأن يحرصوا غاية الحرص على ستر عورات المسلمين ،
 وعدم تَتَبُعها ؛ خصوصًا ما يصدر من رؤساء الدِّين والعلماء
 وطلبة العلم الذين لهم الحقُّ الأكبر على جميع المسلمين بما
 قاموا به من تعلُّم الشرع وتعليمه ، الذين لولا هم ما عرف الناس
 أمرَ دينهم ومعاملاتهم ، فلولا هم لم يعرفوا كيف يُصلُّون
 ويُزَكُّون ويصومون ، ويحجُّون ؛ بل لا يعرفون كيف يبيعون
 ويشترون ؛ بل لولا هم لكان الناس كالبهائم لا يعرفون
 معروفًا ولا ينكرون منكرًا ، ولا عرفوا حلالًا ولا حرامًا .

فالواجب على المسلمين : احترامهم ، وكفُّ الشرِّ عنهم ،
 وقمعُ من يريدهم بأذى ، والتغاضي عما يصدر منهم بسِّره
 وعدم نشره ؛ لأنَّ نشره فسادٌ عريض .

واعلم أن للخير والشرَّ علاماتٍ يُعرف بها العبدُ .

فعلامةُ سعادة الإنسان : أن تراه قاصداً للخير ؛ لكافة المسلمين ، حريصاً على هدايتهم ونصيحتهم بما يقدر عليه من أنواع النصّح ، مُؤثراً لستر عوراتهم ، وعدم إشاعتها ، قاصداً بذلك وجه الله والدار الآخرة .

وعلامَةُ شقاوة العبد : أن تراه يسعى بين الناس بالغيبة والنميمة ، ويتتبع عثراتهم ، ويتطلع على عوراتهم ، فإذا سمع بشيء صدرَ منهم من المكروه أشاعه وأذاعه ؛ بل ربما نشرَ معه شرحاً من ابتداعه ، فهذا العبدُ بشرٌ المنازل عند الله مقيتٌ عنده ، متعرضٌ لمساخطه ، يوشك أن يفضحه في دنياه قبل أخراه ، إن لم يتدارك نفسه بالتوبة النصّوح ، وتبديل السيئات بالحسنات .

فحقيقٌ بمن لنفسه عنده قيمةٌ أن يربأ بها عن هذه الخصلة الذميمة ، ويتأمل معنى قوله ﷺ : «مَنْ سَتَرَ مسلماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١) . وقوله ﷺ : «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلْسَانُهُ

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) ، والترمذي (٢٩٤٥) ، وابن ماجه (٢٢٥) ، وأخرج البخاري (٢٤٤٢) ، ومسلم (٢٥٨٠) ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ومن سَتَرَ مسلماً ستره الله يوم القيامة» .

ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتَّبِعُوا عوراتهم؛ فإنه من تتَّبَعَ عورة أخيه تتَّبَعَ الله عورته، ومن تتَّبَعَ الله عورته يفضَّحه ولو في جوف بيته»^(١).

هذا الوعيد الشديد في عموم المسلمين، وأما العلماء والصالحون فالوقوع بهم أقبح وأقبح، وهو علامة معادة الله ومحاربتة؛ لأن الله قال على لسان رسوله ﷺ: «مَنْ عَادِي لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»^(٢).

وقد قال بعض السلف: «إن لم يكونوا العلماء أولياء الله، فلا أدري من هم أولياؤه»^(٣).

وصدق ﷺ، فإن ولاية الله إنما تُنال بحسب قيام العبد بأوامر الله تعالى، ولأهل العلم من هذا أكبر نصيب، فإنه

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٨٠)، والترمذي (٢٠٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، وابن ماجه (٣٩٨٩).

(٣) قال القاري: هو من كلام أبي حنيفة، والشافعي، وأخرجه البيهقي عن الشافعي بلفظ: «إن لم تكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة فما لله ولي». انظر: «كشف الخفا» (٢٥٩/١).

لا يكاد ينالُ العبدُ طرفاً من العلم يصير فيه رئيساً حتى يجتهدَ ويجدَ ويمضي عليه زمنٌ طويلٌ، وهو متجردٌ لطلب العلم تاركاً لما عليه أهلُ الدنيا، مستغرقاً لأكثر أوقاته وأشرف ساعاته بالاشتغال بالعمل الذي هو بنفسه أجلُّ الطاعات، وهم أخرى بولاية الله من غيرهم! فكيف يُمكن بالقذح فيهم من غلبت عليه الشقاوة، وأفنى زمانه بالقليل والقال، ولم يضرب مع الصالحين بسهم من نفائس الأعمال، فلا تراه باحثاً عن أمر دينه ولا مجالساً للعلماء على وجه الاستفادة منهم؛ بل 'و سئلَ عن أدنى مسألة من أمر دينه لم يَنْطِقْ بِبَيِّنَةٍ شَفِةٍ، ومع هذا فقد أطلق لسانه بثلب العلماء، وأهل الدين زاعماً فيما قاله إنه مصيبٌ؛ نعم قد أصاب طريقَ أهل الشرِّ، والتحق بالحيوانات الخسيسة التي تترك الأطعمة الطيبة، وتذهب إلى الجيفة ونحوها من الأطعمة الخسيسة؛ لتركه المحاسن، وإقباله على ما ظنه مساوئاً، وانحرف عن طريق أهل الخير فليس بكفورٍ أن يُذكر معهم^(١)، وإنما يُذكر

(١) قال ابن المبارك رحمته الله: «حق على العاقل ألا يستخف بثلاثة: العلماء، والسلاطين، والإخوان، فإنه من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن =

لثلا يغتر به المغترّون، ويقع بشبكته الجاهلون، ولعلّه أن يرتدّع ويتوبّ ويقلّع إلى ربّه وينيب، فليس على طريق التوبة حجاب، ولا ذنب إلا وراءه مغفرةُ الملك الوهاب لمن تاب وأناب.

* * *

= استخفّ بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخفّ بالإخوان ذهبت مروءته». رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٥١ / ١٧)

«واعلم يا أخي - وفقنا الله مرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقه حقّ تقاته - أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم والاختلاف على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم». انظر: «تبيين كذب المفتري» (ص ٢٨).

فصل

ومن أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل العلم: ألا يجعلوا الاختلاف بينهم في المسائل الدينية - التي لا يخرج المخالف فيها إلى البدع أو الشرك - سبباً وداعياً إلى التفرق، وتشيت القلوب وموجباً للقدح والطعن بسببها، والمواالة والمعاداة عليها، فإن هذا ظلم وتعداً لا يحل بإجماع المسلمين، فما زال السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم يختلفون في مسائل الدين، ولا ينكر بعضهم على بعض، ولا يوجب بعضهم على بعض أن يتبعه وإلا ضلله^(١)، فإن هذه مرتبة لا تصلح إلا للرسل، فهم الذين

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مجموع الفتاوى» (٢٤/١٧٢-١٧٣): «كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمور اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِنْ لَنزَعْنَهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة=

يُضَلِّلُ مُخَالَفُهُمْ، وَأَمَّا مَنْ عَدَاهُمْ^(١) فَلَمْ تُضْمَنْ لَهُ الْعِصْمَةُ .
 وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بَعْدَهُ : أَنْ جَعَلَ اخْتِلَافَ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَحْمَةً
 لِيُثِيبَ الْمُصِيبَ، وَيَعْفُو عَنِ الْمُخْطِئِ، وَاتِّفَاقُهُمْ حِجَّةً وَنَجَاةً
 وَعِصْمَةً .

فَالْوَاجِبُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنْ يَبْذُلُوا جُحُودَهُمْ بِتَحْرِيرِ
 الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَلَّا يُضَلِّلُوا الْمُخَالَفَ لَهُمْ مِثْلَهُمْ أَوْ
 أَصَابَ^(٢) .

= العلمية والعملية مع بقاء الأئمة والعصمة وأخوة الدين، نعم من خالف
 الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة،
 خلافاً لا يعذر فيه، لهذا يعامل بما يعامل أهل البدع» .

(١) في الأصل : «عاداهم» وفي هامشه : «لعله عداهم» .

(٢) قال ابن تيمية رحمته الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٩/١٢٣) : «ومذهب
 أهل السنة أنه لا إثم على من اجتهد، وإن أخطأ» .

وقال رحمته الله (٦٩/٢٥) : «وأما من اجتهدوا فيه فتارة يصيبون، وتارة
 يخطئون، فإذا اجتهدوا فأصابوا لهم أجران، وإذا اجتهدوا وأخطئوا
 فلهم أجر على اجتهداهم، وخطوؤهم مغفور لهم، وأهل الضلال
 يجعلون الخطأ والإثم متلازمين، فتارة يغفلون فيهم ويقولون : إنهم
 معصومون، وتارة يجفون عنهم، ويقولون : إنهم باغون بالخطأ، وأهل
 العلم والإيمان لا يعصمون ولا يؤثمون» .

وهذا في جميع المسائل التي تعارضت فيها أقوال سلف الأمة بحسب ما أداهم إليه اجتهاؤهم، وذلك مثل مَنْ يرى أنَّ الماء لا ينجس إلا بالتغيُّر بالنجاسة، لا يجوز له القدح فيمن يرى أن ما لم يبلِّغ قُلَّتَيْن ينجس بمجرد الملاقاة وبالعكس، وكذلك مَنْ يرى أنَّ الماء المستعمل في رَفْع الحَدَث يصير طاهرًا غير مطهَّر، لا يُضَلَّل مَنْ يراه طاهرًا مُطَهَّرًا وبالعكس، ولا مَنْ يرى أن الصلاة في الثوب النَّجَس ناسيًا تُعاد، على مَنْ لا يرى الإعادة وبالعكس، ولا مَنْ يرى وجوب ضوم ليلة الثلاثين من شعبان في الغيم، على مَنْ يرى استحباب الفطر، أو إباحته ولا بالعكس، ولا مَنْ يُبيح فعل النَّوافل ذوات الأسباب في أوقات النَّهي على مَنْ يمنعها وبالعكس، وأمثال هذه المسائل التي لم يزل [الخلاف]^(١) فيها بين السلف، وإلى الآن، فلا يحل لمن يرى أحد القولين فيها أن ينكر على غيره على وجه القدح به، فإنَّ هذا ظلم لا يجوز؛ بل وظيفة أهل العلم في مثل هذه المسائل

(١) في الأصل: «الخلايق».

الخلافة أن يبينوا ما يرون أنه الصحيح بحسب قدرتهم بالدليل الشرعي الذي هو الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار بالقياس والحكم [وضعف العقل] ^(١) بالدليل الشرعي ^(٢)، وأن يردّعوا مَنْ جعل هذا الخلاف سُلماً للاختلاف لأنه بعيد عن الإنصاف، نعم إن ظهر من أحد من أهل العلم مخالفةً بيّنة لدليل شرعي صريح، فإنه يجب نُضجُه، ويُبين له الدليل الشرعي بأقرب الطُّرُق، ولا يجعل تأنيبه أو غيبته في المجالس بدلاً من نُضجِه، فليست هذه طريقة أهل الإنصاف، بل طريقَتهم النصيحة سرّاً، وعدمُ إشاعة الفاحشة ^(٣).

(١) كلمة لم تتضح لي.

(٢) لعل في العبارة سقطاً، ولم يتضح المعنى لدي.

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في «الرياض الناضرة» (ص ١٠٩):

«فإن أهل العلم الحقيقي قصدهم: التعاونُ على البر والتقوى، والسعي في إعانة بعضهم بعضاً في كل ما عاد إلى هذا الأمر وستر عورات المسلمين، وعدمُ إشاعة غلطاتهم، والحرصُ على تنبيههم بكل ما يمكن من الوسائل النافعة، والذبُّ عن أعراض أهل العلم والدين، =

وبالجملة: فالواجب على أهل العلم وغيرهم: السعي في معرفة الحق، والاجتهاد في تنفيذه والعمل به، والتعاون على ذلك، وأن يحبَّ أحدُهم لأخيه ما يحبُّ لنفسه، سواء وافقه أو خالفه، فكما أنه إذا وقع منه خطأ وزلل لم يحبَّ اطلاع أحدٍ عليه؛ بل يحرص على سترِ نفسه؛ فكذلك ينبغي أن يُنْزَلَ أخاه منه بهذه المنزلة، وأن يجعلَ ما يصدر منه على أحسن مَحْمَل، فإن الجزاء من جنس العمل، فَمَنْ كان عمله مع إخوانه هكذا؛ سَتَرَ اللَّهُ عليه - بأسباب يعلمها وأسباب لا يعلمها - سترًا لا يحصلُ لمن لم يكن بهذه المثابة، فكما تدين تُدانُ، جزاءً وفاقًا^(١).

= ولا ريب أن هذا من أفضل القربات، ثم لو فرض أن ما أخطئوا فيه أو عثروا ليس لهم فيه تأويل ولا عذر لم يكن من الحق والإنصاف أن تهدر المحاسن وتمحى حقوقهم الواجبة بهذا الشيء اليسير كما هو دأب أهل البغي والعدوان، فإن هذا ضرره كبير وفساد مستطير، أي عالم لم يخطئ وأي حكيم لم يعثر.

(١) وللمؤلف الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في الفتاوى السعدية (٦٣٢) كلام جميل حول الموضوع أنقله هنا لعلاقته به، وأهميته، =

= قال ﷺ: «ومن أهم ما يتعين على أهل العلم معلّمين أو متعلّمين السعي في جمع كلمتهم، وتأليف القلوب على ذلك، وحسم أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم، وأن يجعلوا هذا الأمر نصب أعينهم يسعون له بكل طريق؛ لأن المطلوب واحد، والقصد واحد، والمصلحة مشتركة، فيحقّقون هذا الأمر بمحبّة كل من كان من أهل العلم، ومن له قدم فيه، واشتغال أو نفع ولا يدعون الأغراض الضارّة تملكهم، وتمنعهم من هذا المقصود الجليل، فيحبّ بعضهم بعضاً ويذبّ بعضهم عن بعض، ويبذلون النصيحة لمن رأوه منحرفاً عن الآخرة، ويبرهنون على أن النزاع في الأمور الجزئية التي تدعو إلى ضد المحبة والائتلاف لا تقدّم على الأمور الكلية التي فيها جمع الكلمة، ولا يدعون أعداء العلم من العوام وغيرهم يتمكّنون من إفساد ذات بينهم، وتفريق كلمتهم، فإنّ في تحقيق هذا المقصد الجليل والقيام به من المنافع ما لا يعدّ ولا يحصى، ولو لم يكن فيه إلا أن هذا هو الدين الذي حثّ عليه الشارع، بكلّ طريق، وأعظم من يلزم القيام به أهله، وأنه من أعظم الأدلة على الإخلاص والتضحية للذين هما روح الدين، وقُطْبُ دائرته . . . وفيه أيضاً من تكثير العلم، وتوسعة الوصول إليه، وتنويع طُرُقِهِ ما هو ظاهر، فإنّ أهل العلم إذا كانت طريقتهم واحدة تمكن أن يتعلّم بعضهم من بعض، وأن يعلم بعضهم بعضاً، وإذا كان كل طائفة منهم منزوية عن الأخرى، منحرفة عنها؛ انقطعت الفائدة، وحل محلّها ضدها من حصول البغضاء والتعصّب، =

فنسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبُّه
ويرضاه، وأن يُصلحَ أحوال المسلمين، ويؤلِّفَ بين
قلوبهم، ويهديهم سُبُلَ السلام، والحمدُ لله ربِّ العالمين،
وصلَّى الله على محمد وسلم.

* * *

= والتفتيش من كل منها عن عيوب الطائفة الأخرى وأغلاطها،
والتوصل به للقَدْح وكلُّ هذا منافٍ للدين والعقل، ولما عليه السلف
الصالح حيث يظنُّه الجاهلُ من الدين . . . « . .

فائدة مهمة^(١)

اعلم أنه ينبغي للمعلم أن يفتحَ للمتعلِّمين بابَ البحث والمراجعة والانتقاء في المسائل العلمية، فإنَّ في ذلك من المصالح الدينية ما لا يدخلُ تحت الحَضَر.

فمنها: أن ذلك من باب التعاون على البرِّ والتقوى؛ لأن مصالح الدارين لا تتم إلا بالتعاون عليها، فالمسائل العلمية لا تتمُّ إلا بذلك، وهي بدونه في غاية النقص.

ومنها: أن ذلك يُوجب لهم التهذُّب والتدرب على المعارضة، والاستدلال والترجيح والتضعيف، فتتقد بذلك أفكارهم، ويحصلُ لهم ملكةٌ يقتدرون بها على الإيراد والجواب، فبالامتحان تنصِّلُ الأذهانُ.

ومنها: أنَّ في إهمال المعلم لهذا، وجبَل المتعلِّمين على تلقِّي جميع ما يقوله بالقبول، وعدم المعارضة له فيما تحقَّقوا

(١) فائدة ملحقة بالرسالة.

وظنُّوا أو شكُّوا فيه ، فيه غلقاً لباب الفائدة للمعلم والمتعلم .
 أما المتعلِّم فظاهرٌ ، فإنه إذا ما يُعارض ويبحث لم يهتدِ
 إلى الصواب ، إلا في المسائل الواضحة البسيطة ، وأما
 المسائل التي تحتاج إلى تحرير وتقرير وجواب وإيراد فبأبوابها
 عليه مسدود ؛ بل ربما أن المتعلِّم الذي قد تقرَّرت عنده
 المسألة على صوابها إذا رأى معلِّمه قد خالف ما عنده ولم
 تحصل منه المباحثة المذكورة قد يشك فيما عليه أو يعتقد
 خلاف ما ظنه من الصواب كما هو الواقع .

وهذه الحال إذا استمر عليها المتعلِّمون خمدت أذهانهم
 وأفكارهم فيكونُ الذكيُّ الفطنُ جامدَ الذهنِ خاليَ القريحة ،
 وذلك أن القوةَ المفكِّرة إذا لم تشتغل بالتفكير والتذكُّر ،
 وإعمالها فيما هي مُهيَّئةٌ له بطلَ عملُها ، بمنزلة بقية الجوارح
 التي إذا توالى عليها السكون والكسل لم تنفع صاحبها ،
 وأسرع إليها الفساد ، فإذا أُعملت فيما هي مستعدةٌ له ترتبت
 وازدادت وترقَّت على الدوام .

وأما غلقُه لباب الفائدة من المعلم فأظهر وأظهر ، فإنه
 يسدُّ على نفسه أبواباً وطرقاً من الخير قد كان يمكنه تحصيلها

بأسهل شيء ، فإنه إذا حصلت المباحثة والمراجعة المذكورة بينه وبين المتعلمين لم يَعدِم بذلك أن يستفيدَ منهم عِلْمًا حادًّا أو يتذكَّر عِلْمًا منسيًّا أو يتضح له ما كان مُشكلاً ، أو يتوقَّف بسبب ذلك عن قول كان يجزم به على خلاف الصواب .

ومنها : أنه يوجب له التيقُّظ والاحتراز فيما يقوله وينقله ، فإنه إذا علم أنه إذا قال قولاً أو نقل شيئاً لم يعارض ولم يوقف بوجهه ؛ بل يقبل على أيِّ وجه كان تساهل في ذلك فقال ونقل ما اتفق له غير مراعى للصواب ، فيحصل منه الخطأ والغلط شيءٌ كثير .

وإذا علم أنه يُعارض تنبّه وتحرّز وتحري في قوله ونقله بحسب قدرته .

ومنها : أنه يوجب له كثرة المُطالعة والبحث والتفتيش والتنبّه لكل ما يخطر بباله أنه سيتكلم به .

ومنها : أنه يتحصَّن بذلك خُلُقَه ، ويصير له ملكةٌ لتحمل ما يرد عليه من الاعتراضات ، فإنَّ صاحبَ المنصب العالي على غير الذي يرد غيره تبعاً له لا يكاد يتحمل ممَّن دونه إذا عارضه ؛ بل منصبه يُوجب له النِّفرة من الاعتراض عليه ممَّن

هو مثله أو فوقه ؛ فكيف بمن هو دونه فيخاف عليه لسبب ذلك من ردّ الحق ونضر الباطل الذي يعلمه ويغلب هذا السبب ما هو عليه من الديانة كما هو مشاهد .

ولهذا من أدب المعارض لمن هذه حاله إذا استبان للمعارض أن الصواب معه ألا يكون ذلك بصورة المعارضة ؛ بل بصورة السؤال والاسترشاد والتنبيه على الصواب بالطف الطرق التي توجب القبول ، فإذا وُظِنَ نفسه على حصول المعارضة وعدم المبالاة بها ؛ بل الحرص عليها ، وأوعز^(١) للمتعلّمين أن يعارضوه بما يرون أنه معارض لقوله تدرّب بذلك ، وصار له ملكة قوية على ذلك بحيث لا يُبالي بالمعارضة من صغير وكبير ؛ بل قد تراه يقول القول في الملامح جازماً به ثم يظهر له عكس ما جزم به ، فييديه غير خجل ولا مُكترث ؛ بل قصده الوصول إلى الحقّ والنصيحة للخلق ؛ وحذا حالّ توصل العبد إلى هذا الخلق الذي لا يلقاه إلا ذو حظ عظيم .

(١) في الأصل : «أوعز» .

ومنها : أَنَّ المعلمَ إِذَا هَذَّبَ المتعلِّمينَ على هذه الطريقة الحَسَنَةِ ، أو غيرها من الطرق الحَسَنَةِ صار سببًا لاستمرار هذه الحالِ فيمن تعلَّم منهم ، وتربَّى بهم ؛ لأنهم يربُّونه على ما تربُّوا عليه ، فيحصل له من الخير ما لا يعلمه إلا الله .

ومنها : أَنه يعرف بذلك مراتبهم ودرجاتهم في التحصيل ، ومعرفة مراتب الناس من أهمِّ الأمور خصوصًا مَنْ له التدبير فيهم فإنه يحتاج ؛ بل يضطر إلى ذلك ؛ لأجلِ عمله فيهم ؛ لأن عمله لا يتمُّ إلا بتزويلهم منازلهم ، وإعطاء كل ما يستحقه .

ومنها : أَنَّ ذلك يوجبُ الثقةَ بقوله ؛ لأن مَنْ وُفِّق لهذه الحالة وُفِّق للصواب .

وأما مَنْ سَدَّ على نفسه هذا البابَ ، فقد حصل على غاية الحرمان من العلم والعمل والثواب والخطر العظيم بسبب سوء الخُلُق الذي يؤثر ما يؤثر ، وسوء التعليم ، وقلة النتيجة ، وعدم النصيحة التي هي أَسُّ التعليم ؛ بل أَسُّ كلِّ عملٍ ؛ والإعجابُ بالنفس وعدمُ الثقة بقوله ، وغير ذلك ، فنسأل الله توفيقًا يوفقنا على الصواب ،

ويصرفنا عن كل شرّ.

تم الكتاب ، والحمد لله على يد معلقه الفقير إلى الله :
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
اللهم صل على محمد وسلم (٦ / جا / ١٣٤٣)

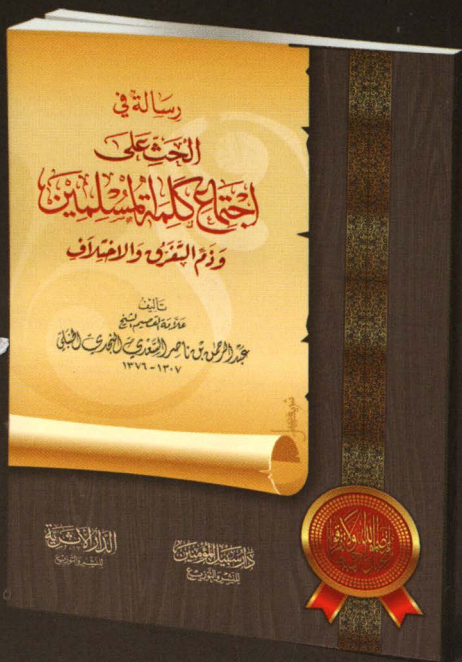
* * *

الفهرس

- ٣ تقديم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيـل
- ٩ المقدمة
- ١٢ صورة الصفحة الأولى من الرسالة
- ١٣ صورة الصفحة الأخيرة من الرسالة
- ١٥ بداية الرسالة
- ١٨ من أعظم الأوامر الإلهية
- ٢١ أعظم النصيحة للمسلمين
- ٢٢ إشارة إلى سيرة الرسول ﷺ مع الخلق
- فصل: في بعض مفاسد الاختلاف والتنازع
- ٢٨ والتباغض والتهاجر ومضارها
- فصل: في فوائد اتفاق المسلمين وتحابهم والسعي
- ٣١ في ذلك
- ٣٤ فصل: في السعي في جميع كلمة المسلمين
- فصل: في عدم جعل الاختلاف في المسائل الدينية

- ٤١ سبب للفرقة
- ٤٦ فائدة مهمة للمعلمين والمتعلمين
- ٥٥ الفهرس

* * *



دار سبيل المؤمنين

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
 جوال / ٠٠٢٠١٠٠٧٦١٠٠٩٩ - ٠٠٢٠١١٤٠١١٠٠٩٩
www.darsabilelmomnen.com
 E-mail : Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com
 E-mail: Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com